على بصيرة

مؤتمر ظاهرة التكفير .. الأسباب .. الآثار .. العلاج

المحور ٣ - البحث ٢٥

الغلوُّ في الدين ومجـــاوزةُ الوســـطيَّة

د. عدنان بن عبد الرزَّاق الحموي العلَبي

الأستاذ المساعد للتفسير وعلوم القرآن

قسم أصول الدين، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، نبيِّنا محمد، وعلى آله وصحبه، وتابعيه بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإن ظاهرة الغلوِّ في الدين ومجاوزة الوسطية باتت سمة العصر البارزة في المجتمعات الإسلامية، وخاصة لدى بعض الطبقات المثقَّفة، ممن يبدأون مشوارهم العلمي بنظرة محدودة، مبنيَّة في أساسها على الاعتزاز بالذات وإقصاء الآخر، أو ممَّن لا يُحسن اختيار طريق طلب العلم، على أيدي أهله الراسخين فيه، ولا يوفَّق في توجُّهه وسؤاله المتخصصين من أهل الذكر، فيركن إلى أنصاف المتعلمين والمتفيقهين، ممن يَخدع بمظهره أو طرْحه سُذَّجَ الناس، فتراه سرعان ما ينتصب داعيةً إلى سبيلٍ تحفُّه الشبهات من كل جانب، ولا يتوانى عن التشهير والتفسيق والتبديع للرأي المخالف له، إن لم يصل الأمر به أحياناً إلى تكفير المخالف، وإخراجه من الملَّة، وربما يستهوي هذا الطرح الجريء بعض الشباب المثقَّف، ممَّن يلهبه الحماس الديني، وتثيره العاطفة الجيَّاشة، التي غالباً ما تذوب لدى أدنى امتحان عملي، أو عندما يقف على المحك المصيري.

من هنا كان واجب أولي الأمر من العلماء والأمراء، أن يتيقظوا لخطر هذه الظاهرة، فيعالجوها تنبيهاً وتوجيهاً، وذلك من خلال حكمة العلماء، وحنكة الخبراء، فيغلقوا منافذها، ويوصدوا أبوابها، ويوفِّروا السبل البديلة التي تكفل بانتشارها القضاء على مظاهر العنف والتطرف والتشدد والإرهاب، الذي تعاني منه الأمة اليوم، بل العالم أجمع، نزفاً للطاقات، وهدراً للخيرات، وانجرافاً نحو الهاوية، وذلك من خلال احترام رأي الآخر، ومحاورته.

ولنا في النماذج المتعددة للحوار القرآني، وفي سيرة النبي ﷺ المثالُ الأسمى لكل باحث عن الحقيقة، في معرفة موقع كل من الوسطية والاعتدال، والتطرف والمغالاة من هذا الدين العظيم. فقد قدَّم الأنبياء أمثلة رائعة في الاعتراف بالآخر والاستماع إليه، وكان ﷺ الرحمة المهداة للعالمين، قولاً وعملاً، دعوة وسلوكاً، يتجلَّى هذا في دعوته ﷺ للعدو والصديق، والبعيد والقريب، والصغير والكبير، والمرأة والرجل، بل وحتى في تعامله مع سائر مكوِّنات البيئة من طائر وحيوان ونبات وجماد..

أهمية الموضوع:

تعيش البشرية اليوم عصراً مميزاً في عالم التكنولوجيا، تتسارع فيه الاكتشافات العلمية، وتتصارع فيه القوى الاقتصادية، وتتزاحم فيه الأفكار السياسية، نحو حُبِّ البقاء على الأرض، والصراع على قيادة المجتمعات الإنسانية والسيادة عليها، وتحمل البشرية في خِضَمِّ هذا التقدم الحضاري بذور دمارها وهلاكها، وعوامل شقائها وفنائها، حين لا تهتدي بهدي السماء في توجُّهاتها، وعندما تتنكَّب الجادَّة في تحديد أولويات أهدافها الحضارية.

ولعل ما يعانيه العالَم بأسره اليوم من مظاهر الإرهاب الدولي، والتطرف الفكري، والغلوِّ الديني، يدعونا أن نقف وقفة تأمل وتبصُّر، حول ما تحصده البشرية من مخاطر هذه الآفات الهدامة، التي باتت تنذر بشؤم الحال، وسوء المآل. كما يدعونا أن نتعاطى مع هذه الظواهر الخطيرة بمنتهى الجدِّية والاهتمام والحذر؛ فهماً مستوعِباً لأسباب ظهورها، وبحثاً جاداً للحدِّ من تنامي آثارها، وسعياً حقيقياً لعلاجها، والقضاء عليها، والخلاص منها.

الباعث على اختيار الموضوع:

لقد شاع في الآونة الأخيرة انتشار ظاهرة التطرف والتكفير والغلوِّ في الدين لدى بعض الأوساط الدينية، ممن يتصدَّرون للدعوة الإسلامية،

مترسِّمين مساراً محدداً من طرقها، وملتزمين أحد وجوه أنشطتها، ومركزين على التقيد والالتزام والانضباط بجانب معين من فروعها؛ سلوكاً ومظهراً وولاءً. ومن خلال تتبُّع هذه المسارات والأنشطة يلاحظ أن نشأة هذه الظاهرة تنبع أحياناً من سذاجة الأتباع، وجهلهم بفقه الدين، وسوء فهمهم لمقاصده، فيتيهون عن جادة الصواب في سلوكياتهم واندفاعاتهم الطائشة، ويقعون في المخالفات السلوكية والعلمية والفقهية، بينما يلاحظ في أحيان أخرى أن هناك أصابع خفية، وجهَاتٍ خارجيةً غريبة عن الدين وروحه وصفائه، تسعى لضرب الإسلام من داخله، وعلى أيدي أبنائه، من خلال بث الأفكار الهدامة، والعقائد الزائغة، والشُبه الواهية، المخالفة لروح الدين الإسلامي ومقاصده، وتغذية هذه التوجهات، كي تصل إلى مرحلة الولاء الأعمى لهذه الأفكار والعقائد والشُبه، والبراء المطلق من مُخالِفها، وهنا يكمن الخطر في المواجهة والتعنت، مما يحتِّم تناول هذه الظاهرة الخطيرة، وبسطها على مائدة البحث والحوار، وتنبيه الأمة إلى مخاطرها، ولفت الأنظار إلى آثارها السلبية، وتحذير المسلمين وحثهم إلى التعاطي معها بغاية من الحذر والنباهة والبصيرة. فكل شيء تجاوز حدَّه انقلب إلى ضده. وهنا نتذكر القول المشهور لسيدنا عمر بن الخطاب ﷺ: (لستُ بالخِبِّ، ولكن الخِبَّ لا يخدعني)[1].

منهج البحث:

لقد تقدَّمت ببحث تضمَّن مقدمة، وتمهيداً، وثلاثة مباحث رئيسة، وخاتمة؛ تناولت في المقدمة أهمية الموضوع، والباعث على اختياره، مبيِّناً منهجية البحث وخطته، واستعرضت في التمهيد جملة من التعريفات ذات الصلة بموضوع البحث، وأفردت المبحث الأول لبيان خصائص الدعوة

(١) الخِبُّ: الماكر المخادع. سراج الملوك، الطرطوشي: ص: ٥٦، وأخبار عمر، الطنطاوي: ص: ٢٦٦.

الإسلامية ومزاياها، وناقشت في المبحث الثاني ظاهرة التطرف؛ مبررات النشأة، والآثار، والعلاج، وعقَّبت في المبحث الثالث بذكر نماذج قولية وعملية من الهدي النبوي في مضمون خطاب الدعوة وفحواها، وجاءت الخاتمة متضمِّنة أهم النتائج المستفادة، والتوصيات المقترحة. وقد توخَّيت البحث بموضوعية وإنصاف، بعيداً عن العصبية والتحيُّز، معتمداً في ذلك أصول البحث العلمي بمنهجية واضحة.

خطة البحث:

يتضمَّن البحث مقدمة، وتمهيداً، وثلاثة مباحث رئيسة، وخاتمة.

المقدمة: وتتناول أهمية الموضوع، والباعث على اختياره، ومنهج البحث.

التمهيد: ويستعرض جملة من التعريفات ذات الصلة بموضوع البحث.

المبحث الأول: ويبحث في بيان خصائص الدعوة الإسلامية ومزاياها.

المبحث الثاني: ويناقش ظاهرة التطرف؛ مبررات النشأة، والآثار، والعلاج.

المبحث الثالث: ويتناول ذكر نماذج من الهدي النبوي في مضمون خطاب الدعوة وفحواها.

الخاتمة: وتتضمَّن أهم النتائج المستفادة، والتوصيات المقترحة.

التمهيد

ويستعرض جملة من التعريفات ذات الصلة بموضوع البحث:

ونستفتح بتعريف شطرَي عنوان البحث: الغلوّ، والوسطية.

١. الغلوُّ، أو المغالاة: الغلوُّ في اللغة: مجاوزة الحد المشروع في أمر من الأمور، من قول أو فعل أو اعتقاد، والإفراط فيه؛ زيادة أو نقصاناً، فعلاً أو تركاً[١]. كما يتمثل الغلوُّ بالبحث عن بواطن الأمور، والكشف عن علل الأشياء، وتجاوز حد الاعتدال في الطاعة والعبادة، وهو نوعان: غلوّ حق محمود؛ وهو أن يبالغ في تقرير الأمر وتأكيده، وغلوّ باطل مذموم؛ وهو أن يتكلف في تقرير الشُبه وإخفاء الدلائل، وكلاهما منهي عنه، إلا أن الثاني أشدُّ نهياً؛ لما يؤول إليه أمر أصحابه من الكفر والخروج عن الدين[٢]. وقد خصَّ القرآن الكريم في خطابه أهل الكتاب بنداءين في النهي عن الغلوِّ، نظراً لما اشتهروا به من هذا الأمر الباطل المذموم، فقال تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ ﴾ (النساء: ١٧١)، وقال أيضاً: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيراً وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ (المائدة: ٧٧)، كما أن الغلوَّ أيضاً يقسم قسمين: غلوّ اعتقادي؛ وهو ما كان متعلقاً بكليات الشريعة وأمهات مسائلها، وغلوّ عملي؛ وهو ما كان متعلقاً بباب الأعمال، سواء أكان قولاً باللسان، أم عملاً بالجوارح، وقد جاء التحذير منه بنص الهدي النبوي،

(١) لسان العرب، ابن منظور: ٧٨/١٢.

(٢) مفاتيح الغيب، الرازي: ٥٣/١٢.

قال رسول الله ﷺ: (إياكم والغلوّ في الدين، فإنما هلك من كان قبلكم بالغلوِّ في الدين)[1].

٢. الوسطية: لفظ (الوسط) لغة: يدور بين معاني العدل والفضل والخيرية والنصف والبينية والمتوسط بين الطرفين. والوسطية: هي مؤهل الأمة الإسلامية من العدالة والخيرية للقيام بالشهادة على العالمين، وإقامة الحجة عليهم. ويلزم توافر صفتَي: الخيرية أو ما يدل عليها كالأفضل والأعدل أو العدل، وصفة البينية سواء كانت حسية أو معنوية[2].

٣. الاعتدال: (العدل) في اللغة: الوسط، وفي الحديث عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (الوسط العدل)[3] في تفسير قوله تعالى: ﴿ أُمَّةً وَسَطاً ﴾ (البقرة: ١٤٣) أي عدولاً. قال القرطبي: وأصل هذا أن أحمد الأشياء أوسطها. ثم قال: قال علماؤنا: أنبأنا ربنا تبارك وتعالى في كتابه بما أنعم به علينا من تفضيله لنا باسم العدالة، وتولية الشهادة على جميع خلقه، فجعلَنا أولاً مكاناً، وكنا آخراً زماناً، كما قال ﷺ: (نحن الآخرون الأولون)[4]، وهذا دليل على أنه لا يشهد إلا العدول، ولا

(١) وتمامه: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال لي رسول الله ﷺ غداة جمع: (هلمَّ القُط لي، فلقطت له حصيات من حصى الخذف، فلما وضعهن في يده قال: نعم بأمثال هؤلاء، وإياكم والغلوّ في الدين، فإنما هلك من كان قبلكم بالغلوِّ في الدين). إسناده صحيح على شرط مسلم. الموسوعة الحديثية لمسند أحمد: ٢١٥/١، رقم الحديث: ١٨٥١.

(٢) الوسطية في ضوء القرآن، العمر: ص: ٤١، والوسطية في القرآن الكريم، الصلابي: ص: ٤٣.

(٣) صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى: { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً ، رقم الحديث: ٤١٢٧.

(٤) وتمام الحديث: عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، ونحن أول من يدخل الجنة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، وأوتيناه من بعدهم، فاختلفوا، فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق، فهذا يومهم الذي اختلفوا فيه، هدانا الله له، قال يوم الجمعة، فاليوم لنا، وغداً لليهود، وبعد غد للنصارى). صحيح مسلم: كتاب الجمعة، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة، رقم الحديث: ١٤١٣.

ينفذ قول الغير على الغير إلا أن يكون عدلاً[1].

٤. التطرُّف: لغة: الوقوف في الطرف، وتجاوز حد الاعتدال وعدم التوسط، ورجل متطرف: لا يثبت على أمر[2]. ويقابل الوسطية والاعتدال، ويصدق على التسيُّب والتفريط، كما يصدق على المغالاة والإفراط، فينتظم في سلكه الإفراط والتفريط معاً، لأن في كل منهما جنوحاً إلى الطرف، وبعداً عن الجادة. ويلاحظ من خلال تعريف التطرُّف أنه في الاستعمال اللغوي يقع دائماً وصفاً معيارياً لأداء؛ قد يكون لفعل أو سلوك أو فكر، وليس مفهوماً عقلياً مجرداً[3].

٥. الإفراط: الإعجال والتقدم، وأفرط في الأمر: أسرف وتقدم، وكل شيء جاوز قدره فهو مفرط. قال تعالى: ﴿ قَالا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى ﴾ (طه: ٤٥)، قال الطبري: وأما الإفراط فهو الإسراف والإشطاط والتعدي، يقال منه: أفرطت في قولك، إذا أسرف فيه وتعدى. وأما التفريط فهو التواني، يقال منه: فرطت في هذا الأمر حتى فات، إذا توانى عنه[4].

٦. التفريط: الترك والتهاون والضياع والهلاك والتقصير والتضييع. قال الجرجاني: والفرق بين الإفراط والتفريط: أن الإفراط يستعمل في تجاوز الحد من جانب الزيادة والكمال، والتفريط يستعمل في تجاوز الحد من جانب النقصان والترك والتهاون والتقصير.

٧. الإرهاب: التوعد والإخافة، وهو نوعان: عدواني، وغير عدواني؛ فالأول

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ١٥٥/٢.
(٢) لسان العرب، ابن منظور: ١٠٦/٩، والمعجم الوجيز: ص: ٣٨٩.
(٣) التطرف الديني، الصاوي: ص: ٨، والإرهاب والتطرف والعنف في الدول العربية، أبو الروس: ص: ١٥.
(٤) جامع البيان، الطبري: ١٧٠/١٦.

يشمل التهديد والوعيد بإلحاق الأذى بالآخرين، على وجه الظلم والعدوان على الدم والعرض والمال والوطن، وهو إرهاب الشر. وهو الذي نزل القرآن الكريم ينهى عنه، ويحدد عقوبته فيما يعرف فقهاً بحد الحرابة، فقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنْ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (المائدة: ٣٣). أما الثاني فهو الإرهاب الدفاعي لصدِّ العدوان، ومقاومة الشر والظلم، وهو إرهاب أهل الخير والإيمان لأهل الشر والكفر الذين يقاتلون المسلمين، كي يكفوهم عن شرهم. وهو الذي نزل القرآن الكريم يأمر به، ويعلِّل مسوّغاته، فقال تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ (الأنفال: ٦٠). وقال أيضاً: ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (البقرة: ١٩٠)[١].

٨. التنطُّع: التكلُّف والمغالاة والتشدُّد والتعمُّق والتجاوز في الحد، وفي الحديث عن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (هلك المتنطِّعون) قالها ثلاثاً[٢].

٩. اللين: في اللغة: من التخفيف، وهو ضد الخشونة[٣]، ومنه قوله تعالى:

(١) القاموس المحيط، الفيروزأبادي: ص: ١١٨، والإرهاب، أبو فارس: ص: ١٧.

(٢) صحيح مسلم: كتاب العلم، باب هلك المتنطعون، رقم الحديث: ٤٨٢٣. والمتنطِّعون: المتعمِّقون، المغالون في الكلام، المتكلِّمون بأقصى حلوقهم، مأخوذ من النَّطع، وهو الغار الأعلى من الفم، ثم استعمل في كل تعمُّق، قولاً وعملاً. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير: ٦١/٥، والقاموس المحيط، الفيروزأبادي: ص: ٩٩١.

(٣) لسان العرب، ابن منظور: ٢٦٩/١٣، ومختار الصحاح، الرازي: ص: ٦١١.

﴿ لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ (طه: ٤٤).

١٠. التنفير: لغة: من التجافي والتباعد[١]، وعن أبي مسعود الأنصاري ﷺ قال: قال رجل: يا رسول الله، لا أكاد أدرك الصلاة مما يطوِّل بنا فلان، فما رأيت النبي ﷺ في موعظة أشدَّ غضباً من يومئذ، فقال: (أيها الناس إنكم منفِّرون، فمَن صلَّى بالناس فليخفِّف، فإن فيهم المريض والضعيف وذا الحاجة)[٢].

١١. التعنُّت: الهلاك والمشقة والتشديد والإلزام بما يصعب أداؤه، والعنت الوقوع في أمر شاق[٣]. وفي الحديث عن عبد الرحمن بن غنْم يبلُغُ به النبي ﷺ: (خيار عباد الله الذين إذا رؤوا ذُكر الله، وشرار عباد الله المشَّاؤون بالنميمة، المفرِّقون بين الأحبَّة، الباغُون البُرآءَ العَنَتَ)[٤].

١٢. التكفير: الاتهام بالكفر، يقال: لا تكفِّر أحداً من أهل قبلتك، أي: لا تنسبهم إلى الكفر، ولا تدْعُهم كفاراً، ولا تجعلهم كفاراً بقولك وزعمك[٥].

١٣. التشديد: خلاف التخفيف، وهو من الشدة؛ أي الصلابة، وهو الأمر الذي يصعب تحمُّله، وهو نقيض اللين[٦].

١٤. الجفاء: لغة: نبوُّ الشيء عن الشيء، وهو غلظ الطبع، وخلاف البرِّ، ويستعمل فيما قصد الأمر من الترك والبعد وسوء الخلق. وفي الحديث:

(١) لسان العرب، ابن منظور: ٣١٨/١٤، ومختار الصحاح، الرازي ص: ٦٧٢.
(٢) صحيح البخاري: كتاب العلم، باب الغضب في الموعظة والتعليم إذا رأى ما يكره، رقم الحديث: ٨٨.
(٣) القاموس المحيط، الفيروزأبادي: ص: ٢٠٠، ومختار الصحاح، الرازي: ص: ٤٥٦.
(٤) حسن بشواهده. الموسوعة الحديثية لمسند الإمام أحمد: ٥٢١/٢٩، رقم الحديث: ١٧٩٩٨. ويُقصد بعبارة: (الباغون البرآء العنت)، أي: المتعدُّون الظالمون، يطلبون للأبرياء الهلاك بالمشقة والتعب والمكروه، ويتهمونهم بالإثم والفساد والفواحش. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير: ٢٥٥/٣.
(٥) لسان العرب، ابن منظور: ٨٦/١٣، ومختار الصحاح، الرازي ص: ٥٧٤.
(٦) لسان العرب، ابن منظور: ٣٨/٨، والمعجم الوجيز: ص: ٣٣٨.

(الحياء من الإيمان والإيمان في الجنة، والبذاء من الجفاء والجفاء في النار)[1]. وفي صفته ﷺ: (ليس بالجافي، ولا المُهين، يعظِّم النعمة وإن دقَّت، لا يذمُّ منها شيئاً)[2].

١٥. العنف: لغة: هو الخُرْق بالأمر، وقلة الرفق به، والأخذ بشدة وقسوة، وهو ضد الرفق، وفي الحديث عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (يا عائشة، إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه)[3]. والتعنيف: هو التوبيخ والتقريع والتعيير واللوم[4].

(١) قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح. سنن الترمذي: كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الحياء، رقم الحديث: ١٩٣٢.

(٢) الجافي: الغليظ الخِلْقة والطبع السيئ، المُهين: من المهانة، وهي الحقارة. الشمائل المحمدية، الترمذي: ص: ٨٥، والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير: ٢٥٧/١، ولسان العرب، ابن منظور: ١٦٧/٣.

(٣) صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، رقم الحديث: ٤٦٩٧.

(٤) لسان العرب، ابن منظور: ٣٠٣/١٠، ومختار الصحاح، الرازي ص: ٤٥٨، والمعجم الوجيز: ص: ٤٣٧.

المبحث الأول
ويبحث في بيان خصائص الدعوة الإسلامية ومزاياها

وأهم هذه الخصائص:

١. العالمية: تتميز الدعوة الإسلامية بعالميَّة خطابها، فهي تنادي البشرية بكافة أطيافها، وألوانها ومكوناتها، فليست حصراً على جنس دون آخر، ولا حكراً على أمة دون سواها، أو قوم دون غيرهم، بل هي دعوة عالميَّة، تهدف إلى تحقيق الخير والرحمة للعالمين، ودفع الشر والنقمة عنهم. بل يمكن أن نفهم مضمون العالمية بمعناها الأعم، لينضم تحت لوائها سائر المخلوقات، من بشر وحجر ومدر، وغير ذلك من مكونات الكون العظيم التي خلقها ربُّ العالمين، وجعل دعوة سيد المرسلين هادفة لتحقيق معنى الرحمة للعالمين. فقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ (الأنبياء: ١٠٧).

٢. الإنسانية: وكما أن الدعوة الإسلامية عالمية في مضمون خطابها، فهي إنسانية في شمول استهدافها، إذ تهدف إلى هداية بني الإنسان نحو الدين الخالص، والفضائل السامية، والقيم الرفيعة، والمبادئ القويمة، والأخلاق الحميدة، لترفع هذا الإنسان من مستوى البهيمية التي يشارك فيها الحيوان بغرائزه وطباعه الدونية، إلى مستوى الملائكية التي يشاركها الرتبة، بل ربما يفوق الملَك باجتيازه وترقِّيه في مراتب السموِّ والتجرُّد والطاعة لله تعالى. لذا كان خطاب الأنبياء موحَّداً في دعوة أقوامهم؛ من منطلق البشرية التي يلتقون عليها، والإنسانية التي ينتمون إليها، والعبودية لرب عظيم، كغاية وهدف مشترك يجمع بينها: قال

تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً ﴾ (الكهف: ١١٠)، وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيهِ ﴾ (الانشقاق: ٦)، وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾ (الانفطار: ٦).

٣. صلاحيتها للتطبيق في كل زمان ومكان: فالدعوة الإسلامية حيَّة نشطة مؤثِّرة، تتجاذب في مضمونها مع مكونات المجتمعات البشرية المختلفة، وهي متجدِّدة متفاعلة مع أنواع الطبائع المتباينة، ذلك أنها دعوة إلهية، تهدف إلى إصلاح الجنس البشري، وتدعوه إلى الهداية والفضيلة، فهي تتلاءم مع كل بيئة، وتناسب كل زمان، وتصلح لكل مكان، وتتجاوب مع كل الأمم، وتتفاعل في كل العصور، وتتواءم مع كل الظروف.

٤. الفطرية: ويراد بها أن الدعوة الإسلامية تتناسب وطبائع الفطرة البشرية التي فطر الله تعالى الناس عليها، فهي ملائمة لهذه الفطرة، فلا غرابة أن يتقبَّلها البدوي في باديته، والحضري في حضره، ويتجاوب مع مضمونها، ويستجيب لندائها، جميع ألوان الطيف البشري، حين يتجرد الفرد من نزعاته وأهوائه، ويتبرأ من عصبيته ونزواته، وذلك أنها تنطلق من مفهوم فطري، وتخاطب الفطرة السويَّة، بخطاب فطري مقنع، يقوم على الدعوة للتوحيد الخالص، ونبذ الشرك والضلال، كما قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (الروم: ٣٠).

٥. الوضوح: فهي دعوة واضحة المعالم في العقائد والأصول، بيِّنة المقاصد في الشعائر والعبادات، ظاهرة الأهداف في الأخلاق والسلوك، جليَّة الغايات

في المناهج والمعاملات، فلا طلاسم فيها ولا ألغاز، ولا لبس فيها ولا غموض. قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَى هَؤُلاء وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (النحل: ٨٩).

٦. العزَّة والكرامة: فهي تربِّي المسلم على عزة النفس وكرامتها، النابعة من سموِّ العقيدة، وشموخ الدين، فلا يخضع إلا لله المستحق للعبادة والخضوع، ولا يسجد ولا ينحني إلا لله تذللاً ورِقَّاً، ولا يستسلم إلا لأمر الله تلذُّذاً وتعبداً، يعبِّر عن هذه المعاني ربعي بن عامر في وقفته البدوية الشامخة، واعتزازه بدينه أمام جبروت الطغاة الجبابرة، ويجيب حين يسأله رستم قائد الفرس: ما جِيء بكم؟ فيردُّ ربعي: نحن قوم ابتعثنا الله تعالى لنخرجكم من عبادة الأصنام إلى عبادة الله الواحد القهار، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة.

٧. الشمولية: وحيث إنها تتميز بما ذكرناه من خصائص، فهذا يستلزم اتسامها بالشمولية. قال تعالى: ﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ (الأنعام: ٣٨).

٨. الحفظ: وباعتبارها لسان حال الدين تعبر عنه، وتدعو إليه، فهذا يستلزم أيضاً حفظها وثباتها وحمايتها وبقاءها واستمرارها وديمومتها، وكل ذلك مرهون بحفظ الرسالة ذاتها، والله سبحانه قد تكفَّل بحفظها، فقال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (الحجر: ٩).

٩. الوسطية: قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً ﴾ (البقرة: ١٤٣).

١٠. العدل والاعتدال: قال الله تبارك وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوْ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِنْ

يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقِيراً فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً ﴾(النساء: ١٣٥)، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (المائدة: ٨).

١١. الربَّانيَّة: ويقصد بها أنها ربَّانيَّة الغاية والوجهة؛ فالمقصد الأساس من الدعوة الإسلامية تحقيق العبودية الخالصة الصادقة لله تعالى، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذاريات: ٥٦)، كما أنها ربَّانيَّة المصدر والمنهج؛ إذ تميَّزت هذه الدعوة بالكمال والعدالة، وتنزَّهت عن الخطأ والتحريف والقصور، لأنها من صنع العليم الخبير: ﴿ أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (الملك: ١٤). وهو سبحانه له الكمال المطلق، فليس فيها شيء من صنع البشر. بخلاف الدعوات الوضعية التي تفقد مصداقية الهدف، وصفاءه. كما أن يد البشر هي التي صنعتها ووضعتها، فجاءت قاصرة، عرضة للخطأ والنسيان، لأنها ترجع إلى صفات واضعيها. يقول تعالى: ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (المائدة: ٥٠)[1].

(١) الخصائص العامة للإسلام، القرضاوي، مدخل لمعرفة الإسلام، القرضاوي، وخصائص الشريعة الإسلامية، الأشقر.

المبحث الثاني
ويناقش ظاهرة التطرف؛ من خلال ثلاثة مطالب رئيسة: الأسباب، والآثار، والعلاج

المطلب الأول
الأسباب

ويشار هنا إلى مبررات نشأة ظاهرة التطرف وأسبابها:

تُعدُّ ظاهرة الغلوِّ في الدين ومجاوزة الوسطية من أهم العوامل المولِّدة للتطرُّف والإرهاب، والمغذِّية للعنف والمغالاة. وتعود أسباب نشأة هذه الظاهرة إلى مجموعة عوامل أساسية أهمها:

١. الجهل بالدين: إذا بحثنا عن البيئة الملائمة والجوِّ المناسب لِتولُّد التطرُّف، ونموِّ العنف، وترعرع الإرهاب، فإننا نجد في اندثار المفهوم السليم وضياع الفهم الصحيح لفقه الواقع، مرتعاً خصباً، ونتاجاً طبيعياً للجهل بالدين، وأحكام الشريعة، إلى جانب قبض العلماء، وانحسار المربين والدعاة الصادقين، الذين ينيرون السبيل للعامة، ويرشدونهم إلى الخير، فكلُّ ذلك يُعدُّ المناخ الخصب، والبيئة النشطة لهذه السلبيات. ولا يخفى أثر البيئة العلمية في تنوير العامة، وتوجيههم، وتعليمهم. قال الإمام علي رضي الله عنه:

وضِدُّ كل امرئ ما كان يجهله ... والجاهلون لأهل العلم أعداء

وقد بيَّنت السنَّة المطهرة فضلَ العالم على العابد؛ فعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: ذُكِر لرسول الله ﷺ رجلان؛ أحدهما عابد، والآخر عالم،

فقال رسول الله ﷺ: (فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم، ثم قال رسول الله ﷺ: إن الله وملائكته وأهل السموات والأرضين حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت، ليصلُّون على معلم الناس الخير)[1].

٢. الفضائيات المفتوحة: تعاني الساحة التوجيهية اليوم من مشكلة الفضائيات المفتوحة، والتي بدت تغطي حيِّزاً كبيراً من الأثر التوجيهي لدى طبقات المجتمع، وغالباً العنصر الشبابي فيه، مقارنة بما كان عليه الحال إلى عهد قريب في اعتماد الأسرة المسلمة على إشراك البيت والمسجد والمدرسة في التوجيه والتربية والتعليم، متعاونين في ضبط السلوكيات، ومراقبة الناشئة، متآزرين في توجيههم وربطهم بأصولهم الدينية، وحثِّهم على الالتزام بهذه الأصول والتقيُّد بها، فبينما ضعف دور البيت، وأصبح مهمَّشاً في كثير من الحالات، لتفكُّك الروابط الأسرية، وسيطرة المادة على العلاقات الاجتماعية، وانصراف كل من الزوجين إلى شؤون حياته الخاصة، بات دور المسجد أشدَّ ضعفاً في التوجيه والتأثير، حين اقتصر دوره على أداء الفروض والعبادات، وخَلَتْ منه حلقات العلم والذكر والنشاط والتوجيه، فأصبح دوره مهمَّشاً أيضاً، كذلك غدا دور المدرسة تقليدياً ضعيفاً، لا يلبي الطموح المرجو، إضافة إلى أن قائمة الأولويات لديها قد تغيرت؛ فأصبح حظُّ التوجيه والتذكير فيها ضئيلاً إلا ما رحم ربي. وكان البديلَ الطبيعي لدى الكثير جهازُ الرائي، والشبكة العنكبوتية، اللذَان يسدَّان الفراغ، ويطغيان في التأثير على حساب الأدوار الأخرى المؤثِّرة، وهنا تظهر الطامة الكبرى حين لا يُحسَن استخدامهما، فيكون ذلك من أخطر

(١) قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب صحيح. سنن الترمذي: كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، رقم الحديث: ٢٦٠٩.

الأمور الداعمة والباعثة على تفريخ الإرهاب الفكري، حين يُستباح المحظور، وعندما تختلف الرؤى في وجهات نظرها، وتختلط المفاهيم في تحليلها للمبادئ والقيم الدينية، بدعوى الحرية والانفتاح، فيحدث الإفراط والتفريط، ومن الحِكَم قولهم: (لا تمكِّن زائغ القلب من أذنيك، فإنك لا تدري ما يوحِي إليك).

٣. انعدام المرجعية الدينية: يعاني المسلمون، وبالتحديد (أهل السنة والجماعة) من هذه الظاهرة المريرة، وإن كان لها الوجود التقليدي على ساحة الواقع، وتأخذ الطابع المظهري اسماً ورسماً، في حين أننا نجدها على قدر عال من الأهمية والاحترام، والتقدير والتعظيم لدى طوائف أخرى، بل وللأسف حتى عند بعض الشرائع الأخرى، حتى ولو شكلاً وسَمْتاً، رغم اعتقادنا دون أدنى شك أننا على الحق والصواب إن شاء الله تعالى، وغيرنا على الخطأ. بل من أدهى ما تعانيه الأمة اليوم تعدد المرجعيات، بحيث أنك لا تستطيع تحديد المرجعية المصيبة فيها، فإذا التقى خمسة في مجلس حوار ما، فلك أن تفترض خمسة آراء، تحارب ضد خمس جبهات وتوجهات، لكل منها مرجعيته التي تضلل الآخرين، وتسفههم ولا تعترف بهم، مع أنهم يصلُّون إلى قبلة واحدة، ويسجدون لرب واحد، ويتلون كتاباً واحداً. في حين نرى الآخرين بالمقابل، رغم اعتقادنا مجانبتهم للصواب، لكنهم يحترمون رأي مرجعياتهم الدينية إلى مرحلة التقديس والتعظيم المفرط، لدرجة الإتباع الأعمى المنزَّه عن الخطأ. وبالتالي فإن هذا مبررٌ لظهور الغلوِّ في الدين، حين لا توجد القدوة والمرجعية التي تحسم الخلاف، وتلزم الأطراف، وقديماً قال الشاعر أبو الأسود الدؤلي:

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة إذا جُهَّالهم سادوا.

٤. ساحة الحرية المفتوحة: ولعلها مزية يتمتع بها الفرد المسلم في المجتمع الإسلامي، بل هي من خصائص الدين، قال تعالى: ﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنْ الغَيِّ ﴾ (البقرة: ٢٥٦)، وقال: ﴿ وَقُلْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ (الكهف: ٢٩). لكن حين يُساء استعمالها، ويسوء توظيفها، عندها تكون المشكلة، فالحرية لها حدود وضوابط، وقيود وشروط، ولا يصح أن تكون مفتوحة الحدود، دون أي ضابط، مطلقة القيود، عديمة الشروط، فالمسلم حرٌّ في فكره واعتقاده، وفي تصرفاته وأفعاله، لكنه منضبط بضوابط الشريعة فيما يفكر ويعتقد، مقيَّد بقيود الأحكام الشرعية فيما يتصرف ويفعل، فحرِّيته منبثقة عن حرية الاختيار التي وهبه الله تعالى إياها، إلا أنها لا تخرج عن دائرة الدين وحدوده، وإلا أصبح الإنسان مشاركاً للحيوان في حريته المطلقة. ثم إن المسلم يُساءل عن مدى استعمال حريته جزاءً وحساباً. وحين يُساء استعمال الحرية يكون الغلوُّ والتجاوز. وهذا سبيل إلى التطرُف والعنف والمغالاة والإرهاب.

٥. طغيان الجانب المادي على الجانب الروحي في حياة المسلم: من الملاحظ في عصر العولمة الذي كاد يطغى سرابه على سائر العالم اليوم طغيان الجانب المادي على الجانب الروحي، وبات المسلم بشكل أو بآخر يتأثر من طغيان هذه الثورة الهائجة في خِضَمِّ بحرٍ متلاطمِ الأمواج؛ من تنازع المصالح، وصراع المنافع، وتبددت آماله وأحلامه لتنحصر في اللهث وراء حطام الدنيا الزائل، وأصبحت هموم دعوته وقضايا أمته من كماليات ما يُهتّم به، ويُسأل عنه، ومن آخر ما يُنظر إليه، ويُفكَّر فيه.

٦. الفراغ الفكري والخواء الروحي: إزاء هذا الطغيان المادي المتصاعد في الحياة العامة، فإن الفراغ الفكري والخواء الروحي يكاد يسيطر على

مشاعر الناشئة، فتكاد لا تجد للجيل الصاعد همَّاً إلا الحرص على متاع الدنيا الزائل، والسعي لتحصيل حطامها الزائف، مقارنة بما كان عليه الأسلاف من الارتقاء بالروحانيات الإيمانية، والسموِّ بالمشاعر الدينية، المتمثل بالصفاء الروحي، والطمأنينة النفسية، والثقة بالله سبحانه، والتوكل والاعتماد على الله تعالى، والتدين الفطري النابع من الإخلاص في الإيمان والفكر والاعتقاد، والناتج عن التهذيب في السلوك والتعامل.

٧. اختلاف المقاصد والغايات: من الإشكالات الكبرى التي ابتليت بها الأمة الإسلامية حاضراً الجهل بفقه الاختلاف، واختلاف الأنظار، وتباين الرؤى، نحو فقه المقاصد والغايات، فما يراه أحدهم واجباً، يراه الآخر مكروهاً، وما يعتقده الأول ممنوعاً، يراه الثاني مطلوباً، وما ينظر إليه طرف على أنه ضروري أو حاجي، ينظر إليه طرف آخر على أنه تحسيني تكميلي، وهنا تختلف الأنظار نحو فقه الأولويات لدى كثير من الناس، ولا شكَّ أن هذا الاختلاف ناتج عن قصور في الوعي الديني، والفهم الصحيح لمقاصد الشريعة وغاياتها، وقواعدها الكلية وأساسياتها، وأحكامها الفقهية وتفصيلاتها، لتنظيرها وتطبيقها على ساحة الواقع الحياتي والمعاشي للناس، بحيث غدا كل فرد يكيل الأمور بمعياره الذاتي الشخصي المصلحي، متناسياً المعيار الشرعي والقيَمي والأخلاقي الذي تقاس به حقائق الأشياء.

٨. الإنكار على المخالف في المختلف فيه: من المتفق عليه أن هناك قطعيات في الثبوت والدلالة لا خلاف فيها، ولا جدل حولها، وهي مسلَّمات بديهيَّات، وهناك مساحة واسعة بل عريضة وكبيرة من الأحكام المختلف فيها؛ رحمة بالعباد، وظنِّية الثبوت أو الدلالة، مما جعل العلماء

يقرُّون بالخلاف فيها، وأعذر بعضهم بعضاً في حجته، على قاعدة: (رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأي مخالفي خطأ يحتمل الصواب)، وعلى مبدأ: (نعمل فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه)، وهنا تتجلى حكمة التشريع في استيعابه للجميع، واحترامه للرأي والرأي الآخر، وفتح الباب للاجتهاد والبحث والمناظرة، واستخلاص حِكَم التشريع السامية، في تحقيق عظمة هذا الدين، وإنسانية هذا التشريع، وعالمية هذه الرسالة. أما أن نُغلق هذا الباب، وننغلق على أنفسنا بإنكار المختلف فيه، وحصر الحكم على ما ارتأيناه مما ترجَّح عندنا، ونبذ جميع ما خالفنا من الآراء فيما اتجهنا إليه، فهذا سبيل للمغالاة، وظلم للآخرين، بل ظلم للشريعة التي جعلت الخلاف سمة منهجها، رحمة من الله تعالى بنا. قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ، إِلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ (المؤمنون: ١١٨–١١٩).

٩. اجتزاء النصوص: وأقصد هنا بالقراءة السطحية غير العلمية ولا المنهجية للخطاب الديني، مما يولِّد فهماً خطيراً؛ على مبدأ مَن يبتر النص القرآني في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾(النساء: ٤٣)، فيقرأ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ ﴾ ويقف الوقف القبيح عند أهل القراءة، ويزداد قبحاً خاصة إذا ابتدأ البدء القبيح في إكمالها: فيقرأ: ﴿ وَأَنْتُمْ سُكَارَى ﴾ وانظر ماذا يمكن تحليله من هذا البتر الظالم للخطاب الديني!؟ ومن المسلَّم به أن حفظ النص غيباً لا يغني عن فقهه أصولاً، لتوظيفه سليماً في عملية الفتوى والتحليل. وبالتالي فتجد كثيراً من المتهوِّرين يشدُّك إلى استشهاده بنصوص قرآنية، أو أحاديث في الصحاح، ويفتي بموجبها

وظاهرها وإطلاقها وعمومها، وما درى قواعد علم أصول الفقه؛ من أحكام الناسخ والمنسوخ، والظاهر والمؤول، والعام والخاص، والمطلق والمقيَّد، والمجمل والمشترك، وسائر فروع هذا العلم الشريف الذي يحمي الشريعة بسياجه المحصَّن، ويقيها شرَّ المهالك غير المنضبطة. فالانطلاق بهذا الخطأ في المنهج سيولِّد فهماً خطأً، ويتعامل مع واقع الحياة بنظرة غير فاحصة، وبالتالي سيفرز ألواناً قاتمة من الغلوِّ، المؤدي بالطبع إلى التجاوز والعنف والتطرف.

١٠. الطاعة العمياء للفكرة، والولاء المطلق للجماعة: وعدم إعطاء ساحة ولو محدودة، وفرصة ولو محددة، للمراجعة الذاتية للاتجاهات والتوجهات، والتعامي عن ماضي الإنسان، وعدم النظر إليه بعين مبصرة ناقدة، وترك النقد البنَّاء لا الهدَّام للأفكار والمبادئ والمواقف، فانعدام هذا كله يُعدُّ مولِّداً مكثِّفاً لظاهرة التطرُّف والغلوِّ والعنف، الذي تعاني منه مجتمعات اليوم، وخاصة الإسلامية منها.

١١. العزلة عن الآخرين: فحين ينغلق المرء على نفسه، ويصمُّ الآذان عن سماع الآخر، وعن محاورته، وتفهُّم موقفه، فضلاً عن احترام آدميته، وتقبُّله، والاعتراف به، فإنه من البداهة والطبيعي أن تولِّد هذه العزلة والانطوائية مواقف سلبية، وتفرز نتائج عكسية، وتفرِّخ بؤراً متأجِّجة؛ حمقاً واستعلاءً وجنوحاً، تؤدِّي في مجملها إلى ظاهرة الغلوِّ المؤدية إلى العنف والتجاوز والتطرُّف.

١٢. البيئة النفسية غير المستقرَّة: فالمتطرِّف يحيا حياة غير طبيعية، نتيجة بيئة غير مستقرِّة اجتماعياً، ويشكل انعدام السكن النفسي دوراً في نمو هذا التطرُّف، كما أن الإحباط والاكتئاب والفشل من المكونات الرئيسة للتطرُّف، وهو تعبير عن معنى الانتقام للبيئة القاهرة التي يعيش

المتطـرِّف في كنفهـا، وينـدر بـل لا نبـالغ إن قلنـا بالاسـتحالة أن ينمـو التطرُّف في بيئة مستقرة، مشبعة بالعاطفة والحنان والوئام.

١٣. إقـصاء الآخـر: وهـذا إفـراز طبيعـي لظـاهرة العزلـة والاعتـداد بالـذات وإنكار الآخر، ولا شك أنها ظاهرة مرفوضة، إذ لا يمكن لأحد إقصاء أحـد، ولا يـستطيع فـرد في التـاريخ المعاصـر – ومـن منطـق التعـايش الإنساني والتفاعل البشري والتواصل الحضاري – أن يُقصي الآخر، أو أن يتحكَّم في مصيره، أو أن يفرض الوصاية عليه، فقد مضى عصر العبودية، وانقضى زمن الطواغيت، وتحرر الإنسان من ربقة التبعية، وأصبحت الحرية عنوان الحضارات والمدنيات المعاصرة، مما يستلزم من مسلم اليوم، وهو صاحب رسالة، وحامل قضية، وأمير دعوة، أن يوظِّف ظاهرة احتواء الآخر واحترامه لخدمة رسالته، ونصرة قضيته، ودعم دعوته.

١٤. ضعف حضور العلماء: فالعلماء منارات الهدى للأمة، ومصابيح الدجى للناس، وإليهم المرجع في الفتوى والسؤال، حيث أمرنا سبحانه وتعالى بسؤالهم في قوله تعالى: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ (الأنبياء: ٧)، فهم ورثة الأنبياء، وبوجودهم يعمُّ الخير، وتنتشر الرحمة بين العباد وفي البلاد، لأنهم الوقَّافون على حدود الله تعالى، الآمرون بالمعروف، الناهون عن المنكر، أشركهم ربنا سبحانه مع ملائكة قدسه في الشهادة على عدله وقسطه، ووحدانيته وألوهيَّته، وعزَّته وحكمته، فقال تعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (آل عمران: ١٨)، وقديماً قال الشاعر:

تحيا بكم كل أرض تنزلون بها كأنكم في بقاع الأرض أمطار

فحيث وجد العلماء وجد العلم والهدى والرشاد، وكان الناس في أمان من الجهل والفوضى التشريعية، وحيث ينحسر العلماء فمؤشر الخطر ونذير الشر ينذر بتفريخ التطرُّف، الناتج عن الغلوِّ في الدين، والتنطُّع ومجاوزة الحد، وهذا ما أشار إليه الحديث الشريف، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يُبق عالماً اتَّخذ الناس رؤساء جُهَّالاً، فسُئِلوا فأفتَوا بغير علم، فضلُّوا وأضلُّوا)[1].

(١) صحيح البخاري: كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم، رقم الحديث: ٩٨.

المطلب الثاني
الآثار السلبية لظاهرة الغلوّ في الدين، ومجاوزة الوسطية

وفيه الأمور الثلاثة التالية:

الأمر الأول: انتشار ظاهرة تكفير الآخر:

لعل أخطر الآثار السلبية التي تنتج عن ظاهرة الغلوِّ في الدين إنما يتمثَّل في اعتزاز المرء بذاته، والغرور بموقفه، واعتبار نفسه الفريق الناجي، وما عداه ممن يخالفه في الرأي، ويغايره في التوجُّه، إنما هو في زاوية الضلال والفساد، وركن التيه والشقاء، بل الأعظم خطراً أن يوسم المخالف بالكفر والفسق والإلحاد، وكأن صاحب هذا التوجُّه يتمثل موقفي الخصم والحكم في القضية، بل يتقمَّصهما، وهذا مكمن الخطر وبيت القصيد في موضوعنا، فظاهرة التكفير ظاهرة خطيرة غير صحيَّة، تكاد تجد لها متنفَّساً ووجوداً، وتطفو على الساحة هنا وهناك، وإذا لم تجد مَن يتصدَّى لامتدادها، ويجمِّد من نشاطها، ويحدّ من تغلغلها، فإنها سوف تتنامى وتتفاعل، لتتحول من قضية قولية لفظية بحتة، منحصرة في إطلاق التكفير اللفظي، والاتهام بالإلحاد الفكري، وصولاً إلى القيام بأعمال أشدّ خطراً من التكفير، حين تلجأ إلى العنف العملي، والإرهاب الفعلي؛ من قتل وسفك وإيذاء وإيلام، وهذا ما تشهده الساحة الإنسانية في بقاعٍ شتى من العالم، ممن يستبيح دم المخالف، ويستحلُّ حرمة حياته فيأتي على إجهازها، وقد حذَّر الله تعالى من هذا السلوك اليهودي حين قال: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً

مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾ (المائدة: ٣٢). ومن العجيب وقوف بعض المتفيقهين عند ظواهر النصوص، والتشدُّق بفهمها، فيحكم على المجتمعات بعموم التكفير، من خلال تفسير بعض النصوص تفسيراً ضيقاً مبتوراً، يخالف القواعد العامة للدين، ويعطي بعضهم لنفسه الصلاحية للحكم على الآخرين صلاحاً وفساداً، إيماناً وكفراً، وينَظِّر في إطلاق الأحكام؛ فيُدخِل مَن يشاء الجنةَ، ومَن يشاء النار، ولا يخفى ما في هذا الأمر من سوء أدب وتعالم وجرأة على الله تعالى العليم بالخفايا، وصاحب الحكم والأمر. ولا يخفى ما في هذا الاتهام الخطير من عاقبة أشد خطراً على المتهم، لأنه في حكمه هذا إما أنه مصيب ببينة، وإما أنه مدعٍ يطالَب بالدليل، وأنَّى له أن يكفِّر مَن وحَّد الله تعالى، وتوجَّه للقبلة، وفي قلبه ولو مثقال حبة من خردل من إيمان. وهنا يأتيه الجواب؛ البيِّنة والدليل، وإلا فالحكم مردود ومنقلب على مُدَّعيه. فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (أيُّما امرئ قال لأخيه يا كافر، فقد باء بها أحدهما، إن كان كما قال، وإلا رجعت عليه)[1][2].

الأمر الثاني: الغلوُّ في الدين بين الإفراط والتجاوز: تنقسم آثار الغلوِّ في الدين ومجاوزة الوسطية قسمين اثنين، وهما برمَّتهما آثار سلبية، ونتائج عكسية، إذ إن الغلوَّ إما أن يؤول إلى إفراط، أو إلى تجاوز، بمعنى أنهما وجهان لعملة واحدة.

ويبدو الإفراط حين يُفهم الدين على أنه الحق المطلق الذي يستحق البقاء، وما عداه شر وضلال وباطل مطلق يجب إقصاؤه ودحره وإهلاكه، دون إعطاء الفرصة للحوار والنقاش والدعوة وإثبات الذات، وحين يُساء الفهم الصحيح

(١) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان حال إيمان مَن قال لأخيه المسلم يا كافر، رقم الحديث: ٩٢.
(٢) ظاهرة الغلو في التكفير، القرضاوي، بتصرف.

للنصوص، ويُفهم الخطاب الديني مبتوراً، على مبدأ وقف التلاوة عند: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ ﴾ ، والذي سبق عرضه، فهذا لون من ألوان الإفراط، ووجه من أوجه الكبرياء الذي يودي بصاحبه إلى الهلاك والدمار والسقوط.

وعلى صعيد آخر، يبدو التجاوز حين يصوَّر الدين على أنه خنوع وانهزامية واستسلام للطرف الآخر، بحجة المسالمة في الدعوة، ونبذ العنف فيها، فلكل ظرف حال، ولكل مقام مقال. وبالمقابل فهذا لون من ألوان التجاوز. وهنا لا ينكر الأثر السيئ للغلوِّ وتجاوز الوسطية في النظرة السلبية لحقائق الدين.

وهذا ما يُغرَّر به بعض الدعاة ممن يسعى بقصد أو دون قصد إلى تجاوز ظاهرة التطرف، والحذر من الولوج بها، من خلال طرحه الهزيل للدعوة، فنراه يقع في متاهات التيه والخذلان، ويطيح في غيابة الضعف والهوان.

كذلك لا ينكر حال الانهزاميين الذين يتحلَّلون من كل فضائل الدين وقِيَمِه وأحكامه، محتجِّين بعموميات النصوص التي تدعو إلى الرحمة والعفو، واليسر والسهولة، وتحذر من التشدد والتذمُّر، فنراهم يبيحون كل محظور، ويتحلَّلون من كل الضوابط الشرعية والقيود النصِّية.

الأمر الثالث: مظاهر الغلوِّ وردود أفعاله: يغلب على المتطرِّف المغالي التعصُّب للفكرة التي يحملها، والذي يقوده غلوُّه هذا في الغالب إلى التصلُّب والتشدُّد في الدفاع عن فكرته، والتحمُّس والتحيُّز لها انتصاراً وولاءً، مما يوقعه في مظاهر العنف التي تتخذ صوراً انفعالية شاذة، وردود أفعال سلبية مرفوضة، قد تتخذ أشكالاً مختلفة غريبة في بداية الأمر، وربما مع التمادي والتحجُّر والإصرار، توصل صاحبها إلى الإيذاء والانتقام، والقتل والاغتيال، والسفك في بعض الأحوال، وكلها نتائج طبيعية لظاهرة التطرُّف والغلوِّ والعنف. لذا أمرنا ديننا بالاعتدال والوسطية، والتحيُّز للحق، وأخذ الأمور بعين

الرحمة والإحسان، ونبذ العنف والتشنُّج، والولاء الأعمى والمطلق.

كما أن التطرُّف يتقلَّب تنوُّعاً من تطرُّف في الفكرة، إلى تطرُّف في السلوك، يليه تطرُّف في الدين. ثم قد يبدأ على مستوى الفرد، ويبقى أثره محصوراً في نطاقه، ومنحصراً في نشاطه ومجاله، حتى إذا ما وجد النصرة له من أفراد آخرين حملوا فكرته، وانتصروا لتأييد رأيه، فإنه يتحول إلى تطرُّف جماعي، وغالب هذا النوع من التطرُّف الجماعي يتَّجه إلى العنف، حين يجد القوة والمساندة والتعاون على الإثم والعدوان. وهذا ما تشهده الساحة الإسلامية مؤخراً من نصرة بعض أفراد الأمة، وتَسانُدهم وتَعاوُنهم لتأييد توجُّه معين، أو فكر متقوقع، أو اتجاه شاذ، يقوم في فكره ومنهجه على فهم خاطئ لأصول الدين، وتحليل مغاير لروح الشريعة، يتناقض ويتعارض مع الثوابت، ويخالف السواد الأعظم للأمة في النظرة والحكم والرأي، مما يستدعي وقفةَ مراجعةٍ ذاتية للأفكار والرؤى، ومحاسبةً فاحصةً للتوجُّهات والاتجاهات.

المطلب الثالث
علاج ظاهرة الغلوّ في الدين، ومجاوزة الوسطية

وهنا نركز على تعيين العلاج، وتحديد الدواء، لأهمِّيته في استئصال الداء، والأمل في تحقيق الشفاء. وأشير إلى أهمية هذا العلاج، من خلال تحقيق النقاط التالية:

١. الالتزام بأدب البحث والمناظرة: فالباحث والمناظر إنما يبحث عن حقيقة، ويناظر لإظهارها، فهو صاحب مبدأ عقدي، وفكر ديني، ومنهج تشريعي، فلا بدَّ من التقيُّد بأدبيات المبدأ، والتخلُّق بأخلاقيات الدين، والتمسُّك بأهداف التشريع، ليعبِّر عن هذا الانتماء بمصداقية وإخلاص.

٢. التجرد للحقيقة والإخلاص لها: فالمسلم بعيد عن الأهواء الذاتية، والمقاصد الشخصية، وتقديس الآراء والمذاهب، فالحقيقة هي هدفه المنشود، وضالَّته المفقودة، لذا أنَّى وجدها أخذ بها، وهو أحقُّ بها، وبالتالي تذوب نزعة العصبية، وتخفى شوائب العنصرية، ولكن بتواضع وإخلاص، وتجرد من نزغات الشيطان، والانتصار للذات، والاعتزاز والغرور بدوافع النفس الأمارة، وحبِّ الهوى.

٣. ترك الخوض في الخلافيات: والإعراض عما لا يجدي البحث فيه، وعدم إثارة الخلاف حوله كالمتشابهات، أو المحتملات، أو المؤولات من النصوص الشرعية والأحكام الفقهية، والآراء الفردية، والفروع المجتهد فيها، فهناك قاعدة عريضة من المسلَّمات المتفق عليها، تكون القاسم

المشترك للتلاقي، وتبقى دائرة الفرعيات والخلافيات ضيقة محصورة في نطاق القناعات الشخصية.

٤. تحديد المفاهيم والمصطلحات: وتعيين البدايات والغايات، وتوضيح الوسائل والمناهج، كي يمكن الالتقاء على طريق واحد، ومنهج محدد، فكثيراً ما ينتج التطرُّف عن سوء فهم لقضايا كلية، وثوابت قطعية، وينشأ الغلوُّ من تباين الرأي نحو الأساسيات والبديهيات، واختلاف النظر إلى الحقائق والمسلَّمات.

٥. الاهتمام بجوهر الدين وأصوله: وهذا أمر جدُّ هام وخطير، إذ بات البحث في الفرعيات، والخوض في الجزئيات، طافياً على الساحة، على حساب الثوابت والأصول، فلا بدَّ من الرجوع إلى جوهر الدين، وأصل التشريع، والالتفاف حوله، والتمسك به، ومحاولة إبراز مقاصده، وإعلان فضائله، وإشهار أحكامه السامية، تلك التي جعلته يوماً ما يظهر على الدين كله، وكانت زمناً ما سبباً رئيساً في دخول الناس أفواجاً فيه.

٦. تضييق هوَّة الخلاف: ومحاولة سدّ ثغرات التباين بين فئات المسلمين فيما اختلفوا فيه من المواقف والتوجُّهات، دون توسيع شقتها، المؤدي لإذكاء نار العداء والخصام بين أطراف الخلاف، فيركز على تعميق روح التفاهم والتوافق فيما لا خلاف عليه، مع الالتزام بأدبيات الخلاف. وتناسي مواطن الخلاف فيما لا طائل منه، فيكفي الأمة ما أثخنها من جراح، وما انتابها من ويلات ومصائب عبر القرون بسبب خلافها في فهم المقاصد، واختلافها في منهج التطبيق للقواعد.

٧. التمييز بين الاختلاف المسموح به، والخلاف الممنوع منه: فالأول ظاهرة صحية إيجابية، ناتجة عن قواعد منهجية، وتحقق مقاصد سامية؛ من

الرحمة بالأمة، والسَعَة بأطيافها الملونة، ومن خلال تطبيقاته العملية الهادفة إلى نتائج حكيمة، من التخفيف واليسر ورفع الحرج. والثاني ظاهرة سقيمة سلبية، نابعة من قصور في وضوح الرؤية، وعيب في تحديد المسار، يفرِّخ نتائج سلبية، ويولِّد تطرُّفاً وغلوَّاً، وعنفاً مريراً. وما مضى من خلاف بين الأمة بغضِّ النظر عن نوعه، يجب أن يوقف عليه للعبرة والعظة، لا أن يقف عنده لصبِّ الزيت على النار، وإيقاظ الفتن النائمة، ويكون مادة التقاء حيَّة تمهِّد لنتائج طيبة، وليست منحى عِداء في غاياته المريرة، وآثاره الأليمة.

٨. تنقية الثوابت والأصول مما علق بها أو أدخل عليها: فمرجعية هذه الأمة هي الثوابت القيمة لشرعها، والأصول الثابتة لدينها، والمتمثِّلة في الكتاب والسنَّة؛ فعن مالك أنه بلغه أن رسول الله ﷺ قال: (تركت فيكم أمرين لن تضلُّوا ما تمسَّكتم بهما؛ كتاب الله، وسنَّة نبيِّه)[1]. وقد مرت على الأمة أحقاب من الزمن، لعبت فيها الظروف السيئة أدوارها، ودخلت عليها شوائب من أفكار غريبة، وظهرت فيها بدع وطقوس شاذة، وتسلَّلت إليها من الأعداء معان مخالفة لروح الدين وصفائه ونقائه. وتنامت هذه الأفكار والبدع والطقوس بازدياد تكريساً نحو التقديس والتشبث، على حساب هذه الثوابت والأصول. فلا بدَّ من تصويب الخطأ إن وجد، وتصحيح العقيدة مما يشوش عليها من دخائل، بالحكمة والحجة. لتبقى على صفائها ونقائها.

٩. عدم التطرُّف في العلاج: وهذا ما نلحظه في علاج بعض الدعاة ممن ينظر للمدعوين نظرة جادة متشددة، يأخذ بحزم الأمور وعزائمها، ويتجنَّب

(١) موطأ مالك: كتاب الجامع، باب النهي عن القول بالقدر، رقم الحديث: ١٣٩٥.

فتاوى الرخص وفسحتها، وحين يُستفتَى يأخذ بالأشد والأقوى ضبطاً واحتياطاً، ويقضي بالأكمل والأقصى ورعاً والتزاماً. مع أن دائرة الآراء الاجتهادية رحبة، وفسحة الاختلافات الفقهية واسعة، والحديث صريح في هذه القضية: فعن عائشة رضي الله عنها قالت: (ما خُيِّر رسول الله ﷺ بين أمرين، إلا أخذ أيسرهما، ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله، فينتقم لله بها)[1]. فينبغي لمن يتصدى للدعوة، ومعالجة قضايا الأمة وحمل همِّها، أن يتبصَّر حال المدعوين، ويحسن وصف الدواء الناجع للداء العضال، وأن يحمل نفسه على أخذ الحزم بالأمور، ويأخذ في حق نفسه بالعزيمة، ويجتهد في الرخصة لحال الآخرين، خاصة إذا كان حالهم يستدعيها، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله يحب أن تُؤتى رخصه، كما يكره أن تُؤتى معصيته)[2].

١٠. عقد المؤتمرات والندوات والملتقيات الفكرية والعلمية والدينية والثقافية؛ وذلك للبحث والمناظرة في المستجدات، والوصول إلى رأي سديد، وإزالة الحواجز النفسية، وتضييق هوة الخلاف، وتعميق الوعي الثقافي بين أفراد الأمة، وهذا من الأهمية بمكان، إذ أن التوعية الفكرية والتثقيف العلمي على المستوى الشعبي والتخصصي، له آثاره الإيجابية الطيبة، في تبصير الأفراد بحقائق الأشياء، وإلقاء الضوء على مخاطر العنف والتطرُّف الذي تعاني منه الشعوب المنغلقة، وبالتالي يمكننا بهذه التوعية والتبصير المساهمةَ في تجفيف منابع الغلوِّ المتدفِّقة، والحدَّ من انتشار هذه الظواهر السلبية المتأججة.

(١) صحيح البخاري: كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ، رقم الحديث: ٣٢٩٦.

(٢) حديث صحيح. الموسوعة الحديثية لمسند الإمام أحمد: ١٠/١٠٧، رقم الحديث: ٥٨٦٦.

١١. مقابلة الرأي بالرأي ما دام رأياً، والحجة بالحجة إقناعاً واستدلالاً، أما القوة والعنف والبطش فمجاله ساحات الوغى، وحلبات الصراع للخصم المعتدي، ضمن أدبيات الجهاد المعروفة. وهنا يركز على أهمية التبصر بالفقه المقارن، والتحلّي بأدب الخلاف في مقابلة الآراء، ومقارنتها، والترجيح بينها، والتخيُّر منها، وهنا تدعو الحاجة لتذاكر سيرة السلف الصالح في احترامهم للرأي الآخر، وتقديرهم للرأي المخالف، وهذا ما نكاد نفتقده اليوم.

١٢. معاملة الشباب بروح الأُبوَّة للبُنوَّة: وهذا مطلب هام، ينبغي العناية به، وأخذه بعين الاعتبار في التعامل والمعالجة. فالشباب يتباينون في نظرتهم لحقائق الأشياء، ويختلفون عن الكبار في تقييمهم لها، بين متشدِّد ومتساهل، ومتشائم ومتفائل، فلا بدَّ من استيعابهم واحتوائهم، والنظرة إليهم بعين العطف والحنان، ومخاطبتهم بروح الأبوَّة والشفقة، وهذا ما يفتقده كثير من الكبار فيخسرونهم، بل يغلقون منافذ الانفتاح عليهم، ويوصدون أبواب التفاهم بينهم، مما يجعلهم ينفرون عنهم، وينقلبون ضدَّهم. عن أبي مسعود الأنصاري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (أيها الناس؛ إن منكم منفرين)[1]. ونتذكر الخطاب النبوي الأبوي للشباب، حينما يناديهم ﷺ بقوله: (إنما أنا لكم مثل الوالد)[2]. صلوات ربي وسلاماته عليه.

١٣. إعطاء الناس مزيداً من الحرية للتعبير عن آرائهم، والصبر عليهم،

(١) صحيح البخاري: كتاب الأذان، باب مَن شكا إمامه إذا طوَّل، رقم الحديث: ٦٦٣، وصحيح مسلم: كتاب الصلاة، باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام، رقم الحديث: ١٨٢، واللفظ له.

(٢) وتمام الحديث: عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: (إنما أنا لكم مثل الوالد، إذا أتيتم الغائط فلا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها، ونهى عن الروث والرمَّة، ولا يستطيب الرجل بيمينه). إسناده قوي. الموسوعة الحديثية لمسند الإمام أحمد: ٣٢٦/١٢، رقم الحديث: ٧٣٦٨.

والمثابرة في علاج فكرهم وسلوكهم. وإفساح المجال لحرية الكلمة والرأي والفكر، والاجتهاد فيما يجوز الاجتهاد فيه، حيث أن كَبْتَ الحريات يولِّد عنفاً وتطرُّفاً، لطالما كانت الأمة بغنى عنه بعد جراحها المثخنة.

١٤. أهمية الحوار: وهذا علاج ناجح ودواء ناجع في الاستماع للرأي الآخر، ومحاورته ومجادلته بالحكمة والموعظة الحسنة. وقد قدَّم القرآن الكريم نماذج رائعة للحوار؛ في حوار الله تعالى مع آدم وإبليس في القرآن، أما آدم فقد نهاه فعصى، ثم غوى، ثم استغفر، فاجتباه ربه فتاب عليه وهدى. وأما إبليس فاستكبر وأبى، وتحدَّى ربه وطغى، ثم أمهله فتجاوز حدَّه، فلعنه وطرده من رحمته. وفي حوار النبي ﷺ مع قومه في مكة، وحوار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام جميعاً مع أقوامهم. والنصوص القرآنية كثيرة في سور عديدة في هذا الأمر.

١٥. دور المجتمع في التعامل مع الغلاة والمتطرفين: ويتمثل هذا الدور في معالجة الغلوِّ بحكمة الرجال، وحنكة الكبار، ووعي الدعاة، وبصيرة الخبراء، وهنا نتذكر معالجة النبي ﷺ للشاب الذي أفصح عن حبِّه للزنا. فعن أبي أمامة ﷺ قال: (إن فتى شاباً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه، قالوا: مه مه، فقال: ادنه، فدنا منه قريباً، قال: فجلس، قال: أتحبه لأمك؟ قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم، قال: أفتحبه لابنتك؟ قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم، قال: أفتحبه لأختك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم، قال: أفتحبه لعمتك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم، قال: أفتحبه لخالتك؟ قال: لا

والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم، قال: فوضع يده عليه، وقال: اللهم اغفر ذنبه، وطهِّر قلبه، وحصِّن فرجه، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء)[1]. فينبغي الاقتداء بالنبي ﷺ في تعاملنا مع الشباب الغلاة والمتطرِّفين؛ من استيعابهم بالانفتاح عليهم، وامتصاص ثورتهم، وتقبُّلهم لتكوين ثقتهم بنا، من ثَمَّ يمكن بذر ما نريد فيهم، وتحويل قناعاتهم نحو الجادة، واستبدال عنفهم وثورتهم بتفاعل مع المنهج بسياسة وإيجابية.

١٦. دور الحكام بالرجوع للشرع: وهذا الدور جدير بالاهتمام به، والحذر من السلبية في التفاعل معه، إذ أن الحاكم رمز وحدة الأمة، ولمِّ شملها على ثوابت شرعية، وضوابط مصلحة مشتركة يلتقي بها مع رعيته، فبقدر ما يكون الوئام والتفاهم بينهما، بقدر ما تسير الأمة براً نحو شاطئ الأمان، والعكس صحيح، فلا بدَّ من إعطاء الحاكم حقَّه الواجب على الرعية؛ من سمع وطاعة ونصح وانتظام وولاء، ضمن ضوابط الشريعة المعروفة، ليؤدي واجبه نحوهم من الحماية والرعاية والعدل، وتحقيق مصالحهم وأمنهم ورخائهم.

(١) إسناده صحيح، ورجاله ثقات رجال الصحيح. الموسوعة الحديثية لمسند الإمام أحمد: ٣٤٦/٢٠، رقم الحديث: ٢٦١٦.

المبحث الثالث

ويتناول ذكر نماذج من الهدي النبوي في مضمون خطاب الدعوة وفحواها.
ونستطيع أن نفرِّع هذه النماذج إلى مطلبين اثنين؛ هدي قولي، وهدي عملي:

المطلب الأول : الهدي القولي

١. عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (إن هذا الدين متين، فأوغلوا فيه برفق)، وله تتمة وشاهد في كتاب الزهد لابن المبارك من حديث عبد الله بن عمرو موقوفاً: (ولا تبغضوا إلى أنفسكم عبادة الله، فإن المنبتَّ لا أرضاً قطع، ولا ظهراً أبقى)[١].

٢. عن أبي مسعود الأنصاري ﷺ قال: قال رجل يا رسول الله، لا أكاد أدرك الصلاة مما يطوِّل بنا فلان، فما رأيت النبي ﷺ في موعظة أشد غضباً من يومئذ، فقال: (أيها الناس؛ إنكم منفرون، فمن صلَّى بالناس فليخفِّف، فإن فيهم المريض والضعيف وذا الحاجة)[٢].

٣. عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يحتجر حصيراً بالليل فيصلي عليه، ويبسطه بالنهار فيجلس عليه، فجعل الناس يثوبون إلى النبي ﷺ فيصلُّون بصلاته حتى كثروا، فأقبل فقال: (يا أيها الناس خذوا من الأعمال ما تطيقون، فإن الله لا يملُّ حتى تملُّوا، وإن أحب الأعمال إلى الله ما دام، وإن قَلَّ)[٣].

٤. عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (قاربوا وسدِّدوا، واعلموا أنه

(١) حسن بشواهده. الموسوعة الحديثية لمسند الإمام أحمد: رقم الحديث: ١٣٠٥٢. ومسند البزار بإسناد صحيح، رقم الحديث: ٤٦٩، والزهد لابن المبارك، رقم الحديث: ١٣٣٤.
(٢) صحيح البخاري: كتاب العلم، باب الغضب في الموعظة والتعليم إذا رأى ما يكره، رقم الحديث: ٨٨.
(٣) صحيح البخاري: كتاب اللباس، باب الجلوس على الحصير ونحوه، رقم الحديث: ٥٨٦٢.

لن ينجو أحد منكم بعمله، قالوا: يا رسول الله ولا أنت؟ قال: ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل) [١].

٥. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قيل لرسول الله ﷺ: أيُّ الأديان أحب إلى الله؟ قال: (الحنيفية السمحة) [٢].

٦. عن أبي موسى ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ إذا بعث أحداً من أصحابه في بعض أمره قال: (بشِّروا ولا تنفِّروا، ويسِّروا ولا تعسِّروا) [٣]. وفي رواية أخرى لأنس بن مالك ﷺ قال: قال النبي ﷺ: (يسِّروا ولا تعسِّروا، وسكِّنوا ولا تنفِّروا) [٤].

٧. عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله يحب أن تُؤتى رخصه، كما يكره أن تُؤتى معصيته) [٥].

٨. عن عائشة رضي الله عنها قالت: (ما خُيِّر رسول الله ﷺ بين أمرين، إلا أخذ أيسرهما، ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله، فينتقم لله بها) [٦].

٩. عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول في بيتي هذا: (اللهم مَن ولي مِن أمر أمتي شيئاً فشقَّ عليهم؛ فاشقق عليه، ومَن ولي مِن أمر أمتي شيئاً فرفق بهم؛ فارفق به) [٧].

(١) صحيح مسلم: كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله، رقم الحديث: ٢٨١٦.

(٢) صحيح لغيره. الموسوعة الحديثية لمسند الإمام أحمد: ٤/١٧، رقم الحديث: ٢١٠٧.

(٣) صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير، رقم الحديث: ١٧٣٢.

(٤) صحيح البخاري: كتاب الأدب، باب قول النبي ﷺ يسِّروا، رقم الحديث: ٦١٢٥، وصحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير، رقم الحديث: ١٧٣٤.

(٥) حديث صحيح. الموسوعة الحديثية لمسند الإمام أحمد: ١٠/١٠٧، رقم الحديث: ٥٨٦٦.

(٦) صحيح البخاري: كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ، رقم الحديث: ٣٢٩٦.

(٧) صحيح مسلم: كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر، رقم الحديث: ٣٤٠٧.

المطلب الثاني : الهدي العملي

وأعرض لهذا النوع من الهدي، باستعراض نماذج عملية، تطال فئات مجتمعية منوَّعة، تمثَّلت الرحمة عنواناً عريضاً في التعامل معها:

١. رحمته ﷺ بالعدو: تتألق السيرة النبوية بنماذج فذَّة لهذا النوع من الرحمة، متمثِّلة في مواقف مختلفة ومتعددة ومتنوعة لمظاهر الرحمة بمَن أساء إليه ﷺ، أو اعتدى عليه، أو أراد اغتياله وقتله، أو آذاه، أو نال منه سبَّاً وشتماً، أو عيَّره، أو أعان السفهاء على صدِّ دعوته، أو دبَّر له مكيدة في سحر، أو ما شابه ذلك من مواقف التعدي والظلم، ثم نراه ﷺ يقابل السيئة بالحسنة، والظلم والعدوان بالعفو والغفران، فيدعو لقومه بالهداية حين يأتيه ملك الجبال ليطبق عليهم الأخشبين، بعد اشتداد أذاهم عليه، ويلتمس لهم العذر، ويعفو عمن ظلمه، ويتجاوز عن خطأ مَن آذاه، ويقابل الغادر المخطط لقتله بالصفح والمسامحة، وأمثلة هذا كثيرة جداً في السيرة العطرة، ويكفينا تذكُّر موقفه ﷺ من أهل مكة حين دخلها فاتحاً، فقال لهم حين اجتمعوا في المسجد: ما ترون أني صانع بكم؟ قالوا: خيراً، أخ كريم، وابن أخ كريم، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء[١]. ولهذا سمَّى رسول الله ﷺ هذا اليوم بيوم المرحمة.

٢. رحمته ﷺ بالقريب: عن أبي هريرة ﷺ يقول: قال أبو القاسم ﷺ: (مَن أشار إلى أخيه بحديدة، فإن الملائكة تلعنه حتى يدعه، وإن كان أخاه لأبيه وأمه)[٢].

(١) سنن البيهقي: كتاب السير، باب مبتدأ الخلق، رقم الحديث: ١٨٠٥٥.

(٢) صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم، رقم الحديث: ٢٦١٦.

٣. رحمته ﷺ بالكبير: عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: (ليس منا من لم يوقِّر كبيرنا، ويرحم صغيرنا)[١].

٤. رحمته ﷺ بالصغير: عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يأخذني فيقعدني على فخذه، ويقعد الحسن بن علي على فخذه الآخر، ثم يضمهما، ثم يقول: (اللهم ارحمهما، فإني أرحمهما)[٢]. وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (إني لأدخل في الصلاة، وأنا أريد إطالتها، فأسمع بكاء الصبي، فأتجوَّز في صلاتي؛ مما أعلم من شدة وجْد أمه من بكائه)[٣].

٥. رحمته ﷺ بالمرأة: عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، واستوصوا بالنساء خيراً، فإن المرأة خُلقت من ضِلَع، وإن أعوج ما في الضِّلَع أعلاه، فإن ذهبت تُقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيراً)[٤]. وعن أنس بن مالك ﷺ قال: (دخل النبي ﷺ فإذا حبل ممدود بين الساريتين، فقال: ما هذا الحبل؟ قالوا: هذا حبل لزينب، فإذا فترت تعلقت. فقال النبي ﷺ: لا، حُلُّوه، لِيُصلِّ أحدكم نشاطه، فإذا فتر فليقعد)[٥].

(١) إسناده صحيح. الموسوعة الحديثية لمسند الإمام أحمد: ٦٤٤/١١، رقم الحديث: ٧٠٧٣، وسنن الترمذي: كتاب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة الصغار، رقم الحديث: ١٩٢١.

(٢) صحيح البخاري: كتاب الأدب، باب وضع الصبي على الفخذ، رقم الحديث: ٥٥٤٤.

(٣) صحيح البخاري: كتاب الأذان، باب مَن أخفَّ الصلاة عند بكاء الصبي، رقم الحديث: ٦٦٨، وصحيح مسلم: كتاب الصلاة، باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة، رقم الحديث: ٧٢٣.

(٤) صحيح البخاري: كتاب النكاح، باب الوصاة بالنساء، رقم الحديث: ٤٧٨٧، وصحيح مسلم: كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء، رقم الحديث: ٦٠.

(٥) صحيح البخاري: كتاب الجمعة، باب ما يكره من التشديد في العبادة، رقم الحديث: ١٠٨٢، وصحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب أمر من نعس في صلاته، أو استعجم عليه القرآن أو الذكر بأن يرقد، رقم الحديث: ١٣٠٦.

٦. رحمته ﷺ بالأعرابي: عن أبي هريرة ﷺ قال: دخل أعرابي المسجد والنبي ﷺ جالس فصلى، فلما فرغ قال: اللهم ارحمني ومحمداً، ولا ترحم معنا أحداً. فالتفت إليه النبي ﷺ فقال: (لقد تحجَّرت واسعاً)، فلم يلبث أن بال في المسجد، فأسرع إليه الناس، فقال النبي ﷺ: (أهريقوا عليه سجلاً من ماء، أو دلواً من ماء، ثم قال: إنما بعثتم ميسِّرين، ولم تبعثوا معسِّرين). وفي رواية: (لا تزرموا عليه بوله) [١].

٧. رحمته ﷺ بالعبيد والخدم: فعن المعرور بن سويد قال: لقيت أبا ذر ﷺ بالربذة[٢]، وعليه حُلَّة وعلى غلامه حُلَّة، فسألته عن ذلك فقال: إني سببت رجلاً فعيَّرته بأمه، فقال لي النبي ﷺ: (يا أبا ذر؛ أعيَّرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية، إخوانكم خولكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده، فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلِّفوهم ما يغلبهم، فإن كلَّفتموهم فأعينوهم) [٣].

٨. رحمته ﷺ بالمرضى والأموات: فقد كان من عادته ﷺ تفقُّد مَن يعلم مرضه، وحرصه على هدايته ولو كان كافراً، كما في خبر عمه أبي طالب، وهو على فراش الموت، يعرض عليه التلفظ بالشهادة ليشهد له

(١) قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح. سنن الترمذي: كتاب الطهارة، باب ما جاء في البول يصيب الأرض، رقم الحديث: ١٤٧، وفي المسند إسناده صحيح على شرط الشيخين. الموسوعة الحديثية لمسند الإمام أحمد: ١٩٨/١٢، رقم الحديث: ٧٢٥٥. والسَّجْل: الدلو الملأى ماء، والجمع سجال. ولا تزرموا عليه بوله: أي لا تقطعوا عليه بوله. يقال: زرم الدمع والبول إذا انقطعا. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير: ٢٨٩/٢، ٢٥٣/٢.

(٢) الربذة: هي من قرى المدينة المنورة على مسيرة ثلاثة أيام قريبة من ذات عرق، وفيها قبر أبي ذر الغفاري ﷺ، وهي من منازل الحاج بين السليلة والعمق على طريق الحجاز إذا رحلت من فيد تريد مكة. معجم البلدان، ياقوت الحموي: ٢٤/٣.

(٣) صحيح البخاري: كتاب الإيمان، باب المعاصي من أمر الجاهلية، رقم الحديث: ٢٩، وصحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب إطعام المملوك مما يأكل، رقم الحديث: ٦٠.

بها عند ربه[1]، وفي دعوته ﷺ لغلام يهودي كان يخدمه. فعن أنس بن مالك ﷺ قال: كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض، فأتاه النبي ﷺ يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: أسلم، فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال له: أطع أبا القاسم ﷺ، فأسلم. فخرج النبي ﷺ وهو يقول: (الحمد لله الذي أنقذه من النار)[2].

٩. رحمته ﷺ بالطائر: عن أم كُرز رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (أقرُّوا الطير على مكناتها). ومعنى الحديث كما قال الإمام الشافعي عندما سأله الإمام سفيان بن عيينة رحمهما الله تعالى: كان العرب إذا لم تر طائراً سانحاً، فرأى طيراً في وكره، حرَّكه من وكره ليطيِّره، لينظر أيسلك طريق الأشائم، أو طريق الأيامن، فيشبِّه قول النبي ﷺ: (أقرُّوا الطير على مكناتها)، أي لا تحركوها، فإن تحريكها، وما تعملون به من الطيرة؛ لا يصنع شيئاً، وإنما يصنع فيما تتوجهون له: قضاء الله عزَّ وجلَّ[3].

١٠. رحمته ﷺ بالحيوان: عن شداد بن أوس ﷺ قال: ثنتان حفظتهما عن رسول الله ﷺ قال: (إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليُحِدَّ أحدكم شفرته، وليُرِحْ ذبيحته)[4].

(١) صحيح البخاري: كتاب الجنائز، باب إذا قال المشرك عند الموت: لا إله إلا الله، رقم الحديث: ١٢٧٢، وصحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب الدليل على صحة إسلام مَن حضره الموت، رقم الحديث: ٣٥.

(٢) صحيح البخاري: كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يُصلَّى عليه، رقم الحديث: ١٢٦٨.

(٣) صحيح لغيره. الموسوعة الحديثية لمسند الإمام أحمد: ١١٣/٤٥، رقم الحديث: ٢٧١٣٩، وصحيح ابن حبان: ٤٩٥/١٣، والمستدرك، الحاكم: ٢٣٧/٤.

(٤) صحيح مسلم: كتاب الصيد والذبائح، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة، رقم الحديث: ٥٧.

الخاتمة

وتتضمن: أهم النتائج المستفادة، وأهم التوصيات المقترحة:

أهم النتائج المستفادة:

- الدعوة للعصبية أمر ترفضه نصوص الشريعة الإسلامية، بل تحرِّمه، لتعارضه مع مقاصدها وروحها. والتعصب المحمود ما كان للحق الظاهر الواضح الذي لا يختلف عليه عاقلان، ويعني الالتزام بالضوابط العامة والقواعد الكلية والثوابت الأساسية للدين، وتبقى الفروع الفقهية والجزئيات مما هو في دائرة المندوبات والفضائل محلَّ اختلاف للأمة، وهامش حركة للفرد، وساحة حرية للمسلم، يتخيّر منها ما يحقِّق له بحبوحة التوجُّه، وسعة الاختيار، في انضباط تشريعي، وقيد أخلاقي، توجِّهه فيه نصوص الشريعة بإطارها العام.
- تطرُّف الفكر هو المأساة الحاضرة للأمة، وفكر التطرف الأفيون الهدام للشعوب، والتعامل مع الأمراض الخبيثة يستلزم في بعض أحواله استئصالاً جذرياً لبعض أهم أجزاء الجسد ومكوِّناته، أملاً في شفاء الباقي وحفظه كله، أو على الأقل حداً من انتشار المرض، ورغبة في السيطرة عليه.
- المبررات لنشأة الإرهاب وأسباب انتشارها كثيرة ومتعددة، وهي سمٌّ قاتل، وسرطان فتَّاك لأي نجاح للدعوة، وسبيل علاجها هو التصدي لها برويَّة وحنكة وحكمة. فيُقضَى على منابعها، وتُجفَّف مواردها، وتُوصد منافذها، وتُيسَّر السبل الممكنة للبدائل العملية، عملاً بالقاعدة التربوية التهذيبية: (التخلية قبل التحلية).
- الاهتمام بالآخر والاعتراف به، لا على أنه صاحب حق يجب اتباعه، والخضوع إليه، وطلب رضاه، وإنما على أنه مريض، ينقصه العلاج

والدواء، ليتماثل للشفاء، بعيد عن الحق، يحتاج لتقريبه إليه، غافل عن الحقيقة، فيلزم توضيحها له وتبيانها إليه، وهنا تتجلى حكمة الدعاة في قبول الآخر، والحرص على اصطياده بحنكة وذكاء، لا أن يُناصَب العداء، فيُستعدَى دونما مبرر.

- نظرية إقصاء الآخر باتت مرفوضة على ساحة الصراع الأيديولوجي، وهي شريعة الغاب في تغليب القوي لسلطانه وجبروته على الخصم لضعفه وهوانه، بل الحكيم مَن كسب جولات الحوار، بعرض الفكرة بأسلوب ناجح.
- الإفراط والتفريط مرفوضان في قضية التطرف والإرهاب، فلا يعني نبذ العنف أن نشطب الجهاد من قاموس الإسلام الشمولي، كما لا يعني أن نخجل من طرحه كذروة سنام الإسلام، بل ينبغي أن نعطي المصطلحات مدلولاتها الشرعية المستحقة، وأن ننصفها عرضاً وتوضيحاً، فلا نظلمها، ولا نبخسها حقها.
- الإسلام دين عالمي، وبالتالي لا يستطيع أحد التحكُّمَ في توجيه مفرداته، تحيزاً لصالح دعوة متشرذمة، أو فكر سطحي، أو توجُّه مخالف. والعبث في قلب المفاهيم، وتوجيه المصطلحات، لتفسير مرفوض، وتحليل مشبوه، سبيل إلى تفريخ بؤر الإرهاب والتطرُّف؛ مثل تفسير النصوص وتأويلها المشوَّه، وتحريف مفهوم الخطاب الديني عن مساره الصحيح، وبما يخدم فكرة شاذة، أو يدلل على توجُّه منحرف، كالقول بنسخ نصوص الجهاد، أو التوقف عن التعامل مع نصوص أهل الكتاب خجلاً من عرضها، أو الحذر من إثارة فتنة بالدعوة إلى إقامة الحدود، وغيرها.
- تميّز الإسلام بأنه دين الوسطية والاعتدال، كما تميَّزت الأمة المحمدية بهذه الوسطية والاعتدال في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً

وَسَطاً ﴾ (البقرة: ١٤٣). وبالتالي فينبغي التحذير من المغالاة في الدين، لمنافاتها روح الدين وجوهره وحقيقته.

أهم التوصيات المقترحة.

- الاهتمام بالخطاب الديني نوعاً ومضموناً وعَرضاً، فمما لا جدل فيه أهمية الخطاب الديني في تأثيره على المدعوين، فلا بدَّ فيه من الصراحة والشفافية والموضوعية والصدق، ولا بدَّ من احترام أهلية واستعداد المدعو والمخاطَب، وتقدير حاجته من هذا الخطاب؛ كمَّاً وكيفاً، ومن الحكمة معاشرة الناس ومخاطبتهم على قدر عقولهم، وهنا نحذر من الخطاب الديني المسيَّس، والهزيل، والجافي للصواب، والمبطَّن بنوايا مشبوهة، لما له من آثارٍ جدُّ سيئة وسلبية، حصدت الأمة عبر تاريخها الغابر ولا تزال مرارة هذه الآثار، بضنك وأسى، ولا تزال تعاني نزف جراحها، وقلَّما تتعافى منها.
- الاهتمام بتوجيه وسائل الإعلام المسموعة والمقروءة والمكتوبة إلى حُسن صياغة الخطاب الديني بمنهجية واضحة المعالم، قائمة على الوسطية والاعتدال، ونبذ كل مظاهر التطرُّف والغلوِّ والجفاء، مع مراعاة التنوع في طرح هذا الخطاب، وتناول الأولويات من القضايا الساخنة التي تمس حاجة المدعو، وتلامس شأنه الخاص. فالمدعو اليوم يواجه تحدياً وصراعاً متلازمَين في واقعه اليومي على مستوى الاجتماع والاقتصاد والسياسة والتربية، فلا بدَّ من مواجهة هذه التحديات بحلول عملية، وبدائل منطقية، كي يتقبَّلها، ويستجيب لندائها.
- التركيز على دور المسجد الريادي، وإعادة تفعيله عملياً كما كان؛ مركزاً للإشعاع الروحي، ومنبراً للوعي الفكري، ومحراباً للعبادة، ومقراً للنشاط السياسي والاجتماعي، فرسالة المسجد السامية، ودوره

القيادي في التوجيه والتعليم من أهم مقومات المجتمع الإسلامي وأسسه التي قامت عليها الحضارة الإسلامية في عصر النبوة، ثم تتالت وتنامت حيث امتدت في أصقاع الأرض؛ فتحاً، ونصراً، وعزاً، وانتشاراً.

- التصدي لظاهرة التطرُّف بحكمة وحزم متوازيَين، فبقدر ما نغلق منافذ التطرُّف، ونوصد بؤر الإرهاب، فإننا بالمقابل نفتح بوابات العلم والمعرفة، ونشجع الحوار، ونقبل الطرف الآخر، ونحترم الرأي الآخر، ونتعامل معه بوعي وجدِّية وصدق وعطف.
- التركيز على المدارس والمعاهد والجامعات في إظهار الإسلام على صورته الحقيقية الصادقة، من خلال الإشراف على مناهج التربية والتعليم، وحُسْن الطرح والعرض، بعيداً عن أيٍّ من معاني البتر أو التشويه أو التعقيد، وهنا يتحمَّل القائمون على هذا الأمر مسؤولية تاريخية خطيرة في تثقيف الأجيال، وتبصيرهم بحقائق الدين، دون أي مسخ أو تشويه أو تحريف، إذ الإفراط والتفريط في هذا الأمر له مخاطره ومحاذيره.
- التركيز على دور الدعاة من خطباء وأئمة وأساتذة ووعاظ، في تنمية الوعي الديني لدى الناشئة، وتوضيح المفهوم الصحيح للخطاب الديني لدى العامة، ونشر ثقافة التسامح والوسطية والاعتدال، وتشجيع المبادرات في الاعتراف بالآخر، وفتح قنوات الحوار معه، مع الاعتصام بالثوابت، والتقيد بالضوابط الشرعية في هذا المنحى، لأنه خطير المنزلق إذا أُسيء استخدامه.

مراجع البحث

- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان البستي، بترتيب الأمير علاء الدين ابن بلبان الفارسي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٩٩١.
- أخبار عمر، وأخبار عبد الله بن عمر، علي الطنطاوي، وناجي الطنطاوي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط/ثامنة: ١٤٠٣-١٩٨٣.
- الإرهاب والتطرف والعنف في الدول العربية، أحمد أبو الروس، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية: ٢٠٠١.
- الإرهاب، تعريفه، نشأته، أنواعه، تاريخه، علاجه، د.محمد عبد القادر أبو فارس، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمَّان: ١٤٢٧-٢٠٠٦.
- البحر الزخَّار المعروف بمسند البزَّار، أبو بكر أحمد بن عمرو البزَّار، مؤسسة علوم القرآن، دمشق: ٢٠٠٥.
- التطرف الديني الرأي الآخر، د.صلاح الصاوي، الآفاق الدولية للإعلام، القاهرة، ط/أولى: ١٤١٣-١٩٩٣.
- التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط/أولى: ١٤٠٥-١٩٨٥.
- جامع البيان في تأويل أي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ثالثة: ١٤٢٠-١٩٩٩.
- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ١٤٠٥-١٩٨٥.
- خصائص التشريع الإسلامي، د.عمر سليمان الأشقر، مكتبة الفلاح، الكويت، ط/ثانية: ١٤٠٦-١٩٨٦.
- الخصائص العامة للإسلام، د.يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/سادسة: ١٤٠٩-١٩٨٨.

- الزهد، عبد الله بن المبارك، دار المنار، القاهرة: ٢٠٠٥.
- سراج الملوك، أبو بكر محمد بن الوليد الفهري الطرطوشي، تحقيق محمد فتحي أبو بكر، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة: ١٩٩٤.
- سنن الترمذي، المكتبة التجارية، مصطفى الباز، دار الفكر، بيروت: ١٤١٤-١٩٩٤.
- السنن الكبرى، الإمام أحمد بن حسين البيهقي، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، الهند: ١٣٤٧.
- الشمائل المحمدية، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق عبد المجيد طعمه حلبي، دار المعرفة، بيروت، ط/أولى: ١٤١٧-١٩٩٦.
- صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/أولى: ١٤١٢- ١٩٩٢.
- صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ١٣٧٦-١٩٥٦.
- ظاهرة الغلو في التكفير، د.يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط/ثالثة: ١٤١١-١٩٩٠.
- القاموس المحيط، مجد الدين بن يعقوب الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/ ثانية: ١٤٠٧-١٩٨٧.
- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط/سادسة: ٢٠٠٨.
- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، دار الكتاب العربي، بيروت: ١٤٠٢-١٩٨٢.
- مدخل لمعرفة الإسلام، د.يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط/أولى: ١٤١٦-١٩٩٦.
- المستدرك على الصحيحين، الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/أولى: ١٤١١-١٩٩٠.

- معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، ط/ثامنة: ٢٠١٠.
- المعجم الوجيز، مطبوعات مجمع اللغة العربية، القاهرة.
- مفاتيح الغيب، المشتهر بالتفسير الكبير، الإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي، وبهامشه تفسير العلامة أبي السعود، دار الفكر، بيروت، ط/ ثانية: ١٣٢٤.
- الموسوعة الحديثية لمسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق الشيخ شعيب الأرناؤوط وإخوانه، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/أولى: ١٤٢١-٢٠٠١.
- الموطأ، الإمام مالك بن أنس، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار سحنون، تونس، ط/ثانية.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير مجد الدين أبو السعادات المبارك بن الجزري، تحقيق طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٣٨٣-١٩٦٣.
- الوسطية في القرآن الكريم: د.علي محمد الصلابي (المصراتي)، دار النفائس للنشر والتوزيع، عمان، ط/أولى: ١٤١٩-١٩٩٩.
- الوسطية في ضوء القرآن، د.ناصر العمر، دار الوطن، الرياض، ط/أولى: ١٤١٤-١٩٩٣.